تدريب الخيول العربية على القفز .

كان الفرَس عمدة الجيوش في الماضي وأصبح من الاشياء المتممة لوحدات الجيوش في عصر الطائرة والدبابة . وللفرس العربي شهرة خاصة عالمية لا يتمتع غيره من الخيول بها . ويندهش المرء عندما يلمس الاعجاب الذي يتمتع به الفرس العربي خارج الجزيرة العربية ويتساءل عن سبب كل هذا الاعجاب . والاجابة على هذا تستغرق مجلدات يدخل ضمنها تاريخ الفرس العربي ، وتاريخ الجزيرة العربية ، وعلم الوراثة والتشريح والبيئة الى آخر القائمة من اسماء العلوم التي تبحث نشأة الكائن الحي . ولا يمنع هذا من إلقاء الضوء على اهمية الحصان العربي .

أصله

هناك روايات كثيرة حول اصل الفرس العربي ونشأته . ومن جملة هذه الروايات قصة طريفة تروي قصة اصل الحصان العربي . وهذه الرواية موجودة في كتاب «نسب الخيل في الجاهلية والاسلام وأخبارها» لابي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي . وتتلخص القصة في ان نبي الله داود عليه السلام كان يحب الخيل حبا شديدا ، فلم يكد يسمع بفرس الا اشتراه حتى اجتمع له ألف فرس لم يكن في الارض يومئذ غيرها . ولما قبض الله داود ورثه ابنه سليمان . وقال سليمان : ما ورّثني داود مالا احب اليّ من هذه الخيل . ويقال ان سليمان دعا بها ذات يوم لتعرض عليه ليميزها ويعرفها بأسمائها وأنسابها . وبعد ان صلى الظهر بدأ عرض الخيل عليه حتى مر وقت العصر ، ثم جاء الغروب فانتبه واستغفر ربه وقال : «لا خير في مال يشغل عن الصلاة وعن ذكر الله ، ردوها .» وقد استعرض منها تسعمائة وبقيت مائة لم تعرض . فطفق يضرب سوقها اسفا على ما فاته من وقت صلاة العصر . وقال : «هذه المائة احب الي من التسعمائة التي فتنتني عن ذكر ربي .» وقد قال الله تعالى : «ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب .»

وبعد ان تزوج سليمان ببلقيس ملكة سبأ جاءه قوم من اهل عمان من الأزد لتهنئته . ولما تأهبوا للانصراف قالوا : «يا نبي الله ان بلدنا بعيدة وقد انفضنا من الزاد ، مر لنا بزاد يبلغنا الى بلادنا .» فدفع اليهم سليمان فرسا من خيله وقال لهم : «هذا زادكم فاذا نزلتم فاحملوا عليه رجلا وأعطوه مطردا وأوروا ناركم ، فانكم لن تجمعوا حطبكم حتى يأتيكم الصيد .» فجعل القوم لا ينزلون منزلا الا حملوا على فرسهم رجلا بيده مطرد واحتطبوا واوروا نارهم فلا يلبث ان يأتيهم بصيد من الظباء والحمر . فسموا ذلك الفرس «زاد الراكب» . فكان ذلك اول فرس انتشر في العرب . فلما سمعت تغلب بهذا الفرس استطرقوهم فنتج لهم من زاد الراكب الهجيس فكان اجود من زاد الراكب . فلما سمعت بذلك بكر بن وائل اتوا بني تغلب فاستطرقوهم فنتج لهم الهجيس الديناري فكان اجود من الهجيس . فلما سمعت بذلك بنو عامر اتوا بكر بن وائل فاستطرقوهم فنتج لهم اعوج من فرس اسمها سبل ، ومن اعوج نتج ذو العقّال ، وهو ابن اعوج لصلبه من الديناري بن الهجيس بن زاد الراكب . فتناسلت تلك الخيول وانتشرت واشتهرت منها خيول منسوبة الآباء والامهات .

واذا اردنا ان نستقصي تاريخ الحصان كجنس نجد ان علم الحياة يقرر انه اكتشف حيوان متحجر يرجع الى العصر (الأيوسيني) ، اوائل العصر الجيولوجي الثالث ، عندما كانت الارض في دور التبريد . ويبدو هذا الحيوان على هيئة مخلوق يبلغ ارتفاعه ٢١ بوصة ، وله خمسة اصابع ينتهي كل اصبع من اصابعه بظفر . وقد اطلق عليه اسم «فيناكودس بريموفس» . ومن المعتقد ان هذا الحيوان هو اصل الحصان .

الخيول تروي ظمأها بعد فترة التمرين .

تصوير : عبد اللطيف يوسف

هجين موجود في مركز تربية الخيول العربية ، وهو مستورد من الحبشة .

وهناك نظرية تقول ان الحصان العربي استورد من الهند ، ويستدل على ذلك بأنه وجد هيكل عظمي لحيوان يرجع تاريخه الى عصر سحيق وسمي الحيوان المكتشف (يكوسي سيفالينيسيس) . وان هناك شبها كبيرا بين هيكل هذا الحيوان وهيكل الحصان العربي مع بعض الفوارق التي اكتسبها الحصان العربي بتأثير البيئة وظروفها في الجزيرة العربية . وان وصول الحصان الى الجزيرة العربية كان نتيجة لتبادل الهدايا بين الملوك ورؤساء القبائل . وكانت الخيول من ضمن الهدايا التي يتبادلونها .

وهذا يكفي لان نقول ان الحصان العربي كان موجودا في الجزيرة العربية منذ القدم . وقد كانت الخيول سببا في بعض الحروب التي دارت بين القبائل العربية ، كالحرب التي دامت اربعين عاما بين قبيلتي عبس وذبيان بسبب سباق بين الفرسين داحس والغبراء . وهذه الحرب شهيرة في التاريخ العربي .

صفاته

في الواقع ان الاعجاب بالفرس العربي لم يأت عفويا كما قد يتبادر الى الذهن ، فهناك سبب لهذا الاعجاب والاكبار ، والسبب هو صفات الحصان العربي التي لا تتوفر في غيره من الخيول .

وأول ما تبرز هذه الصفات في الرأس ، فناصية الفرس ، وهي اعلى شيء في رأسه ، شديدة السواد حريرية الملمس ، ويستدل بهذه الصفة على اصالته . وكذلك طول عنقه ودقة مذبحه وسلاسته . ويقول في ذلك عقبة ابن مكدم :

وترى معقد القلادة منها سلسا ذا ذوائب وسباب

فرس عربية مع فلوتها .

ودقة اعلى عنقه ، ويسمى هذا الموضع بالسالفة ، واشراف عنقه وارتفاعه ، ويطلق على ارتفاع عنقه هاديه . ويقول الشاعر :

كأن هاديها اذا قام ملجمها   مقو على بكرة زوراء منصوب

ويمتاز ايضا بعرض كتفيه وبروزهما مما يدل على قوته وصلابته . وظهر الفرس العربي قصير ومعتدل ، وهذا يرجع لوجود ٢٣ فقارا فقط بينما المعروف ان جميع الخيول لها ٢٤ فقارا .

واذنا الحصان العربي بعيدتان عن بعضهما دلالة على عرض جبينه . لذلك فان عينيه بارزتان على الجانبين مما يسهل الرؤية له ، اما عرقوباه فبعيدان عن بعضهما ، ومنخراه قريبان من بعضهما وكذلك منكباه . وهو واسع الجنبين وعظيم الفخذين ، عريض الصهوة ، ويمتاز بقصر ساقيه .
وقال الاسعر بن حمران الجعفي في وصف الفرس :

اذا ما استقبلته فكأنه   باز يكفكف ان يطير وقد رأى
اذا ما استعرضته متمطرا   فتقول هذا مثل سرحان الغضا
اما اذا استدبرته فترى له   ساقا خموص الوقع عارية النسا

والصفات التي يشترك فيها الفرس مع الظبي هي :

طول وظيفي الرجلين ، تأنيف العرقوبين ، عظم الفخذين وكثرة لحمهما ، وعرض وركيه ، وشدة متنه وظهره ، واجفار جنبيه ، وقصر عضديه ، ونجل مقلتيه وسوادهما ، ولحوق اياطله . وتشبه اذناه اذا كانتا منتصبتين بقرون الظباء .

وقال امرؤ القيس في وصف الفرس :

وقد اغتدى والطير في وكناتها   بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا   كجلمود صخر حطه السيل من عل
كميت يزل اللبد عن حال متنه   كما زلت الصفواء بالمتنزل
على العقب جياش كأن اهتزامه   اذا جاش فيه حميه غلي مرجل
مسح اذا ما السابحات على الونى   اثرن الغبار بالكديد المركل
يزل الغلام الخف عن صهواته   ويلوي بأثواب العنيف المثقل
درير كخذروف الوليد امرّه   تتابع كفيه بخيط موصّل
له ايطلا ظبي وساقا نعامة   وارخاء سرحان وتقريب تتفل
ضليع اذا استدبرته سد فرجه   بضاف فويق الارض ليس بأعزل

كانت العرب في الجاهلية تكرم الخيل وتعزها . ولم تكن تكرم شيئا من اموالها مثل اكرامها للخيل . وكان الرجل يبيت طاويا جوعا هو وأهله كي يشبع فرسه . وفي هذا يقول عمرو بن مالك :

وسابح كعقاب الدجن اجمله   دون العيال له الايثار واللطف

وجاء الاسلام فأمر الله نبيه باتخاذ الخيل وارتباطها للجهاد وذلك في الآية الكريمة (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) . وقد خصص للفرس سهمان . وكان الرسول يقول :

«الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة الأجر والمغنم .»

واذا اردنا تقصي اصل الحصان العربي حتى وقتنا الحاضر لا نجد رابطة بين الاسماء الاولى التي ذكرنا وبين الاسماء الموجودة حتى وقتنا الحاضر . وبذلك لا نستطيع ان ننسب الخيل العربية حتى زاد الراكب او الديناري او غيرهما . فالاسماء المتداولة لفصائل الخيل العربية في الوقت الحاضر هي كحيلة ، وعبية ، وصقلاوية ، وحمدانية . ويذكر الامير عبد القادر سبب تسميتها ، وهو انه قبل ما يقرب من ألفي سنة فاض سيل العرم وملأ الجزيرة العربية ، وبذلك اطلقت الخيول وصعب اعتقالها . وبعد وقوف الفيضان كان خمسة من الاعراب يقتنصون في الصحراء ، ورأوا خمس افراس تشرب على بئر من الآبار . وراقبوها حين ورودها وقبضوا عليها . وعند عودتهم ، ولم يصطادوا شيئا وقد خمصوا ، قرروا ذبح احدى الافراس واختلفوا فيما بينهم اي هذه الافراس تذبح . ولكن ما ان لبثوا حتى اصطادوا غزالا فعدلوا عن ذبح اي منها . فكانت هذه الافراس التي بقي نسلها حتى وقتنا الحاضر . وقد سموا احدى هذه الافراس الصقلاوية لصقلة في شعرها ، والثانية ام عرقوب لعرج في عرقوبها ، والثالثة الشويمة لغرة فيها ، والرابعة عبية لان فارسها سقط رداؤه فحملته على ذيلها طول الطريق ، والخامسة سموها كحيلة لسواد عينيها . وتفرعت من هذه الافراس الخمس عدة فصائل تحت اسماء مختلفة .

ومن المعروف عن الخيول العربية انها تعمر اكثر من غيرها ، فقد يصل عمرها الى اكثر من خمسة وعشرين عاما كما انها تنمو ببطء . فالمهرة تصبح فرسا في عامها الخامس . ويبلغ وزن الفرس العربي ما بين ٣٥٣–٥٥٣ كيلوجراما . وفترة الاخصاب في الخيول العربية ما بين السن الخامسة والخامسة عشرة . وتمتاز الخيول العربية بسرعتها ، ويرجع ذلك الى خفة وزنها وتركيب القدم ، كما تمتاز بالذكاء والذاكرة القوية والوفاء . فالفرس العربي يعرف صاحبه ولو بعد حين من فراقه . وهو يصهل اذا رأى شيئا غريبا لينبه صاحبه . واذا وقع صاحبه على الارض فانه يحنو عليه .

وكانت العناية بالخيول العربية فائقة في مصر . ومن مصر انتشرت الخيول العربية في انحاء العالم ، كانجلترا وفرنسا ، وأخيرا انتشرت في امريكا . وأول حصان وصل الى امريكا كان عام ١٧٤٧ م ، وله صورة تذكارية محفوظة . وتلا ذلك استيراد ٤٥ حصانا عربيا واحدى وعشرين مهرة عربية في الفترة الواقعة بين منتصف القرن الثامن عشر وبداية القرن العشرين . وهي مستوردة من الخيول العربية الاصائل الموجودة في الجزيرة العربية واسبانيا وطرابلس الغرب ومصر والجزائر وفرنسا وجبل طارق .

تربية الخيول في المملكة

وعلى الرغم من انتشار الخيول العربية في العالم وذيوع صيتها فانه حتى وقت قريب لم يكن من السهولة بمكان على المؤلف عن الخيول ان يأتي الى الجزيرة العربية ليجد سجلا معينا يستعين به ، فقد ظلت الخيول الاصائل مفرقة بين القبائل العربية ، لا يجمعها مكان معين ولا يحتفظون لها بنسب الا ما تتناقله الالسن اعتمادا على الرواة .

وقد اهتم سكان الجزيرة العربية مؤخرا باقتناء الخيول الاصائل والعناية بها ، وتسابق الافراد في ذلك . وجلبوها من انحاء مختلفة في الجزيرة العربية حيث تنتشر القبائل التي تمتلك هذه الخيول ، كما جلبوها من سوريا والعراق . غير ان هذا كان عملا فرديا لا تتوفر له جميع الاسباب التي تتطلبها العناية بالخيول العربية .

ولكن زائر الجزيرة العربية في الوقت الحاضر يستطيع ان يرى الخيول العربية في الرياض في مركز تربية الخيول العربية ، بعد ان اهتمت وزارة الزراعة بالاشراف على تربية الخيول فيه وتدريبها وتحسين انواعها . ففي مركز الرياض لتربية الخيول اعد مكان خاص بها على الطريقة الحديثة . وفي هذا المركز ٢٢٠ فرسا معظمها من الفصائل الاربع الاصيلة وهي : كحيلة ، حمدانية ، عبية ، صوتية . ويشرف على هذا المركز اناس مختصون في شؤون الخيل .

وهناك سجل خاص بالخيول وفصائلها . فانه باستطاعة المرء في المركز ان يجد الفرس العربي ونسبه ، وباستطاعته معرفة المميزات الخاصة بكل فصيلة . ويتوفر الاشراف الطبي في المركز بشكل حديث فعال . فهناك صيدلية مجهزة بجميع المستلزمات الطبية لعلاج الخيول ، ويقوم الطبيب البيطري المختص بالاشراف والعلاج في المركز ، كما يقوم المشرفون على المركز بمراقبة تغذية الخيل على احدث الطرق ووسائلها . ويقوم المربون على تدريب الفلوة من سن الثالثة ، ويستمر التدريب على القفز والسباق حتى تصبح فرسا .

ويتسع هذا المركز لعدد اكبر من الخيول الموجودة حاليا . ويتجه النظر الآن الى مكان جديد سوف تنقل اليه الخيول العربية في ديراب حيث توجد المزرعة النموذجية التي تشرف عليها وزارة الزراعة ايضا .

ولا شك في أننا سنرى المزيد من الرعاية للخيول العربية والعنـاية بمراكز لتربية الخيول في اماكن اخرى من المملكة ، فيستطيع المواطنون مشاهدة مهرجانات سباق الخيـول ، احب لعبة رياضية للعرب ، خاصة وان الجزيرة العربية هي الموطن الاصلي للجياد العربية الاصيلة التي طبقت شهرتها الآفاق .

ابراهيم شكري

الخيول العربية في مركز تربية الخيول في الرياض .

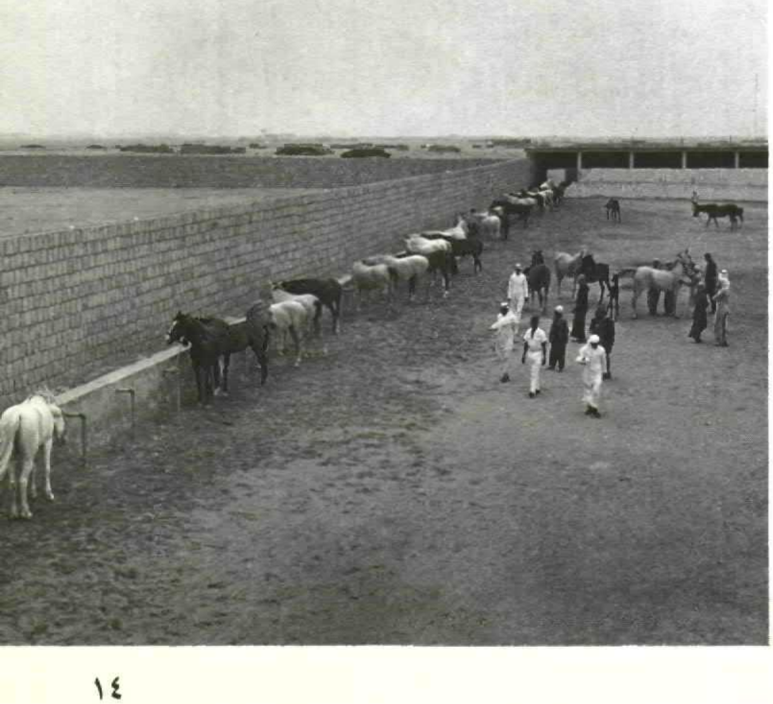

الحصان العربي الأصيل وفارسه في مركز تربية الخيول
التابع لوزارة الزراعة في الرياض   تصوير: عبداللطيف يوسف